

أوائل المسامير

١١

إسلام الحجاج المسلم

يقدم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام الحجاج المسلم

بقلم
السيد شحاته

نقطة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربَّ العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهدبه إلى
يوم الدين .

وبعد :

فهذه صورة صادقة بين يديك أيها القارئ العزيز ،
لصفوة من الصحابة الأجلاء الذين دخلوا في دين الله أفواجا
وضحوا بالعالى والنفس في نشر هذه الدعوة المباركة .

وقد جاءت رائعة الأسلوب ، قريبة إلى الأذهان .

والله نرجو أن تكون مفيدة هادية ، وأن يستفيد منها كل
مسلم لأنها مأخوذة من صفحات التأريخ الإسلامي
العظيم .

والله ولي التوفيق

الحجاج السلمي

حَدِيثُنَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ صَاحِبُ عَزِيمَةٍ مَاضِيَةٍ ، وَصَاحِبُ
حِيلَةٍ بَارِعَةٍ .

هُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ غِلَاطٍ السُّلَمِيُّ ، نَشَأَ فِي مَكَّةَ ، وَكَانَ سَبَبُ
إِسْلَامِهِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فِي رِحْلَةٍ مِنْ رَحَلَاتِهِمْ ،
فَأُظْلِمَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ ، وَاسْوَدَّتِ الطَّرِيقُ أَمَامَهُمْ ، فَتَزَلُّوا فِي مَكَانٍ
بِجَانِبِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَلَكِنْ الْخَوْفُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ وَالرُّعْبُ تَمَكَّنَ
مِنْ نَفُوسِهِمْ . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

- قُمْ يَا حَجَّاجُ وَاتَّخِذْ لَنَا حِيلَةً نَأْمَنُ بِهَا وَنَهْدَأُ وَنُطْمِئِنُّ فِي
هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّدِيدَةِ الظَّلَامِ .

فَقَامَ الْحَجَّاجُ ، وَأَخَذَ يَتْلُو بَعْضَ مَا يَعْرِفُ مِنْ كَلِمَاتٍ وَيَطْلُبُ
مِنْ اللَّهِ أَنْ يُحْفَظَهُ هُوَ ، وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَرْجِعُوا سَالِمِينَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ ، نَاجِينَ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ ، وَصَارَ يَسْتَعِيدُّ ، وَيَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ ،
وَبَيْنَمَا هُوَ يُرَدِّدُ مَا يَحْفَظُ مِنْ كَلَامٍ ، وَبُرَّئِلُ مَا يَعْرِفُ مِنْ شِعْرِ ،
يَدْعُو إِلَى السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ - بَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :

﴿ يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ
أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَانٍ ﴾ (٣٣)

ولم يكن الحجاج قد سمع بهذا الكلام من قبل ، ولا عهد
له بمثل هذا القول الممتاز ، لذلك حفظه وعلق في صدره ، وصار
يردده أينما سار .

ولما رجع الحجاج مع صحبه إلى مكة ذهب إلى نادى
قريش كعادته وجلس في وسطهم وقال :

- يا قوم ، لقد نزلت مع صحبى بمكان كذا ، وملك الخوف
علينا جميع مشاعرينا ، ولما قلت كلاما أطرده الشياطين سمعت
قائلا يقول :

يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ .. فصرخوا جميعا في
وجهه ، وقال قائلهم :

- يا حجاج إنك كفرت باللهينا ، وخرجت عن عبادتنا ،
وتركت دين آبائك وأجدادك .



— إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ سَفَّهَ عُقُولَنَا ، وَسَبَّ آلَهُنَا ، وَخَرَجَ
عَلَيْنَا .

فَقَالَ الْحِجَّاجُ :

— يَا قَوْمُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وَسَمِعَهُ أَصْحَابِي مَعِيَ .
وَرَكِبَ الْحِجَّاجُ نَاقَتَهُ سِرًّا ، وَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يُحِبِّرْ أَحَدًا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ،
وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ أَنَّهُ خَرَجَ لِيَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ .
لَمْ تَعْرِفْ زَوْجَتُهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ .
دَخَلَ الْحِجَّاجُ الْمَدِينَةَ الْمُنُورَةَ ، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ . لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّكَ فِيهِ
عَاطِفَةَ الْإِيمَانِ إِذْ سَمِعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ وَقَدْ بَدَأَ
الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعِدُّ الْعِدَّةَ لِحَرْبِ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ كَثُرَتْ
خِيَانَاتُهُمْ ، وَتَوَالَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شُرُورُهُمْ ، وَصَارُوا حَرْبًا عَلَى
الْإِسْلَامِ ، يُرِيدُونَ أَنْ يَطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُ
أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ .



كَانَ الْيَهُودُ يَسْكُنُونَ (خَيْر) فَقَصَدَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مَعَ جَيْشِهِ ، وَحَاصَرَهَا سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ فَتَحَهَا وَمَلَكَ
أَرْضَهَا وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا .

ثُمَّ طَلَبَ الْيَهُودُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتْرَكَ لَهُمُ الْأَرْضَ
لِيَزْرَعُوهَا مُنَاصَفَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا .
فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ بِنَصْرِ اللَّهِ فَرَحًا عَظِيمًا لِأَنَّهُمْ كَثِيرًا
مَاصِرُوا عَلَى شَرِّ الْيَهُودِ ، وَاحْتَمَلُوا مِنْهُمْ أَذًى شَدِيدًا .



وَكَانَ الْكُفَّارُ فِي مَكَّةَ فَرَحِينَ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا دَخَلَ فِي حَرْبٍ مَعَ
الْيَهُودِ ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى أَنْ يَسْمَعُوا أَخْبَارَ هَذِهِ الْحَرْبِ ،
وَهُمْ أَشَدُّ شَوْقًا أَنْ يَسْمَعُوا أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ غَلَبُوا مُحَمَّدًا وَهَزَمُوا
جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ .

كَانَ كُفَّارُ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ الْيَهُودَ فِي خَيْرٍ لَهُمْ حُصُونٌ شَامِخَةٌ
وَلَدَيْهِمْ أَسْلِحَةٌ قَاتِلَةٌ ، وَأَنَّهُمْ وَأَنَّهُمْ .. فَإِذَا دَخَلَ مُحَمَّدٌ
مَعَهُمْ فِي حَرْبٍ فَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ سَيَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِ ، وَيَهْزِمُونَهُ ،
وَبِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ الْكُفَّارُ مِنَ الدَّعْوَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .



ولكن الله خيب ظن هؤلاء الكافرين ، فانتصر محمد على
اليهود ، وكان سرور أهل المدينة بهذا النصر كبيراً .
وكان من المحاربين في جيش المسلمين الحجاج السلمي .
ورجع جيش المسلمين إلى المدينة بعد انتصارهم ، ولكن
الحجاج لم يرجع معهم إلى المدينة ، بل استأذن رسول الله في أن
يذهب إلى مكة .

ولما سأله رسول الله عليه السلام ، عن أسباب رجوعه إلى
مكة قال له :

— يا رسول الله ، إن لي مالا كثيراً في مكة ، ولو علم أهلها بأنني
أسلمت ، وحاربت مع المسلمين لضاع على هذا المال ، وحرمني
أهل مكة منه .

كما إنني أذخر عند زوجتي (أم شيبه بنت طلحة) حاجب
الكعبة مالا كثيراً . وهي أشد الناس عداوة للإسلام .

وإنني لحريص على استرداد أموالي كلها لأنفقها في سبيل الله .
والرسول الكريم صاحب ذكاء وفطنة فلم يغب عنه ذلك
فأذن للحجاج أن يعود إلى مكة ، ليجمع ماله الكثير ، ثم
يعود .

ولكنَّ الحجاجَ استأذنَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ في أمرٍ آخرَ .
ماهوَ هذا الأمرُ ؟

استأذنه أنْ يَشْتُمَ المُسلمينَ وَيَسبِّهُمُ أَمَامَ كُفَّارِ مَكَّةَ ، وأنْ
يُخَبِّرَهُمْ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ قد ماتَ في غَزوةٍ خَيْرَ ، وأنَّ اليَهُودَ قَتَلُوهُ
في الحَرْبِ !!

فابتسمَ الرَّسولُ ابتسامةَ الرِّضا ، وأذنَ لَهُ .

رَكِبَ الحجاجُ ناقتهُ إلى مَكَّةَ ، وفي نَفْسِهِ أَمَلٌ كَبِيرٌ في أنْ
يَسْتولِيَ على جَميعِ أَمْوالِهِ ، ثُمَّ يَعودَ إلى رِحابِ المُسلمينَ في
المَدِينَةِ وَيَسْعَدَ بِجِوارِ رَسولِ اللَّهِ عليه السَّلامُ .

وَصَلَ الحجاجُ إلى مَكَّةَ ، وانتَقَلَ خَبرَ عودَتِهِ إلى جَميعِ
قُرَيشٍ وَقَدْ كانوا مِنْ خَبرِهِ في ضَلالٍ ، بَعْضُهُم يَقولُ : إِنَّهُ
مَاتَ ، وآخَرُونَ يَقولُونَ إِنَّهُ ضَلَّ . . وَهَكَذَا .

ولَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَرِحُوا بِرِجوعِهِ ، واطْمَأنَّوا إِلَيْهِ ، وَرَحَّبُوا
بِهِ ، ثُمَّ التَّفَّوا حَوْلَهُ يَسألونَهُ :

— أَيْنَ كُنْتَ يا حِجَّاجُ ؟

فَيَقولُ الحِجَّاجُ :





- إِنَّ عِنْدِي مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَسِرُّكُمْ ، لَقَدْ شَهِدْتُ قَتْلَ
مُحَمَّدٍ فِي خَيْبَرَ وَقَدْ أَنْهَزَمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ شَرَّ هَزِيمَةٍ ، وَأُسِيرَ مِنْهُمْ
خَلْقٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ ، وَقَعَ أُسِيرًا فِي يَدِ الْيَهُودِ .

ثُمَّ يَزِيدُ الْحِجَاجُ فِي مُبَالِغَاتِهِ ، وَادَّعَاءَاتِهِ فَيَقُولُ :
- إِنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لَنْ نَقْتُلَ مُحَمَّدًا بِأَيْدِينَا ، وَلَكِنَّا سَنَسَلِمُهُ
إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، لِفَعْلُوا بِهِ مَا يُرِيدُونَ .

وَهَذَا يَصْبِيحُ الْمُشْرِكُونَ فَرَحِينَ بِذَلِكَ النَّصْرِ الَّذِي أَتَاهُمْ وَهُمْ
فِي بَلَدِهِمْ آمِنُونَ .

وَيَشْهَرُ الْحِجَاجُ هَذَا الْفَرَحَ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مَالُهُ
فَيُطَالِبُهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ لَهُ مِنْ مَالٍ وَيَقُولُ لَهُمْ :

- أَسْرِعُوا بِرَدِّ مَالِي حَتَّى أَسَافِرَ قَوْرًا إِلَى خَيْبَرَ . فَأَشْتَرِيَ تِجَارَةً
مِمَّا أَخَذَهُ الْيَهُودُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَأَرْجِعُ إِلَيْكُمْ مُسْرِعًا بِرِنَحٍ
كَبِيرٍ .

وَيَتَسَابَقُ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى رَدِّ الْأَمْوَالِ إِلَى الْحِجَاجِ ، لِيُسْرَعَ
فِي شَرِّ مِمَّا غَنِمَهُ أَهْلُ خَيْبَرَ فِي حَرْبِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَامْتَلَأَتْ أَرْجَاءُ مَكَّةَ كُلِّهَا بِخَبَرِ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْتَصَارِ
الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ فِي خَيْبَرَ ، فَفَرَحَ الْكَفَّارُ ، وَذَهَبُوا إِلَى الْأَصْنَامِ

يُنْظِفُونَهَا ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا الصَّلَوَاتِ وَالْقَرَّائِينَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ مُّهْنُشِينَ .

وَكَانَ فِي أَتْحَاءِ مَكَّةَ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا إِلَى
الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَلَمَّا سَمِعُوا أَخْبَارَ
هَزِيمَةِ إِخْوَانِهِمُ الَّتِي شَاعَتْ فِي مَكَّةَ حَزَنُوا حَزْنًا كَبِيرًا ، وَتَقَطَّعَتْ
نَفُوسُهُمْ حَسَرَاتٍ ، وَكَانَ أَكْبَرُ تَفْكِيرِهِمْ فِي الرَّسُولِ الْحَبِيبِ ،
كَيْفَ بِأَسِيرَةِ الْيَهُودِ ؟ وَكَيْفَ سَيَسْلُمُونَهُ إِلَى كُفَّارِ مَكَّةَ ؟
إِنَّهُمْ يَوَدُّونَ جَمِيعًا لَوْ يُقَدِّمُونَ نَفُوسَهُمْ فِدَاءً لَهُ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الصَّبْرَ إِلَى قُلُوبِهِمْ ، فَسَكَنُوا عَلَى هَمٍّ وَقَلَقٍ .

أَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، عَمُّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ، فَكَانَ فِي حُزْنٍ وَحَسْرَةٍ ، لَكِنَّهُ شَغَلَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يُظْهِرْ
حُزْنَهُ ، وَلَا قَلْقَهُ ، وَصَارَ يُقَابِلُ كُلَّ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ مُسْتَفْهِمًا عَمَّا
حَصَلَ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَتَكَلَّفُ أَمَامَهُ الثَّبَاتَ وَالْاطْمَئْنَانَ .

وَفِي اللَّيْلِ دَعَا غُلَامَهُ وَقَالَ لَهُ :

— اذْهَبْ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْعَبَّاسَ يُقْرِئُكَ

السَّلَامُ ، وَيَقُولُ لَكَ : اللَّهُ أَجَلٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا حَدَّثَتْ
بِهِ حَقًّا .

جَاءَ غُلَامُ الْعَبَّاسِ إِلَى دَارِ الْحِجَّاجِ فَقَالَ لَهُ مَا كَلَّفَهُ بِهِ سَيِّدُهُ
فَانْفَرَدَ بِهِ الْحِجَّاجُ وَقَالَ لَهُ :

— يَا أَبَا زَبِيَّةَ ، ارْجِعْ إِلَى سَيِّدِكَ الْعَبَّاسِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ
الْحِجَّاجَ يُرِيدُ أَنْ يَخْتَلِيَ بِكَ فِي مَنْزِلِكَ ، فَاجْعَلْ لَهُ وَقْتًا يَجِيءُ
فِيهِ .

وَيُنْفِلُ (أَبُو زَبِيَّةَ) غُلَامُ الْعَبَّاسِ فَرِحًا مُسْرِعًا إِلَى سَيِّدِهِ
قَائِلًا لَهُ مَا قَالَهُ الْحِجَّاجُ .

جَاءَ الْحِجَّاجُ وَاخْتَلَى بِالْعَبَّاسِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَقِيقَةُ كَمَا
كَانَتْ ، وَكَمَا وَقَعَتْ ، أَخْبَرَهُ كَيْفَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْيَهُودِ فِي
خَيْبَرَ ، وَكَيْفَ قَتَلُوا زَعِيمَهُمْ (حُيَّ بْنَ أَخْطَبِ)
ثُمَّ قَالَ لَهُ :

— إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ أَجِيءَ
إِلَى مَكَّةَ ، وَأَقُولُ مَا قُلْتُ حَتَّى أَسْرِدَ مَالِي ، وَأَسْتَرْجِعَ مَا ادَّخَرْتُهُ
فِي مَكَّةَ ، لِأَتَفَقَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَذِنَ لِي .

فَسَرَّ الْعَبَّاسُ بِذَلِكَ كَثِيرًا ، وَقَامَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَعَانَقَهُ ، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ .

وَكَتَمَ الْعَبَّاسُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَ مِنَ الْحَجَّاجِ ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَأْمَنَ الْحَجَّاجُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ وَاسْتَمَرَّ الْمُشْرِكُونَ يَتَقَابَلُونَ مَعَ الْعَبَّاسِ ، وَيُظْهِرُونَ لَهُ الشَّمَاتَةَ بِابْنِ أُخِيهِ مُحَمَّدٍ فَبَسَّكَتْ ، أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ فَلَمْ يُخَيِّرْهُمْ الْعَبَّاسُ بِشَيْءٍ مَخَافَةَ أَنْ يَتَسَرَّبَ الْخَبْرُ فِي أَنْحَاءِ مَكَّةَ فَيُنَالُ الْحَجَّاجُ مِنْ ذَلِكَ شَرًّا .

جَلَسَ الْحَجَّاجُ مَعَ زَوْجَتِهِ (أُمِّ شَيْبَةَ) فِي آخِرِ لَيْلَةِ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَقْضِيَهَا فِي مَكَّةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :

- أَبْشِرِي يَا أُمَّ شَيْبَةَ ، سَأَسَافِرُ اللَّيْلَةَ إِلَى خَيْبَرَ ، قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التُّجَّارُ إِلَى شِرَاءِ الْغَنَائِمِ ، فَسَأَشْتَرِي مِنْهَا مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَعُودُ بِقَافِلَةٍ مَحْمَلَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِذَلِكَ سَتَكُونُ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ فِي مَكَّةَ ، وَسَأَجْلِبُ لَكَ كُلَّ مَا تُحِبُّهُ ، وَكُلَّ مَا تُرْغِبِينَ فِيهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي مَكَّةَ كَلِّهَا امْرَأَةٌ أَيْسَرُ حَالًا مِنْكَ ، وَلَا أَعَزَّ مَكَانَةً وَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُومُ أُمُّ شَيْبَةَ ، وَتُعْطِيهِ كُلَّ مَا دَخَرَتْهُ مِنْ

المال ، وتَسْتَحْلِفُهُ بِالْأَصْنَامِ إِلَّا يَغِيبَ ، وَأَنْ يُسْرِعَ فِي جَلْبِ
التَّجَارَةِ ، وَتَدْعُو لَهُ أَنْ يَعُودَ سَالِمًا غَانِمًا الرِّبْحَ الْكَثِيرَ .

* * *

يَخْرُجُ الْحَجَّاجُ مِنْ مَكَّةَ يَرْكَبُ نَاقَتَهُ ، وَيَحْمِلُ مَعَهُ الْمَالَ
الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجَلِهِ ، يَخْرُجُ وَالنَّاسُ فِي مَكَّةَ ، يودُّعُونَهُ آمِلِينَ أَنْ
يَعُودَ إِلَيْهِمْ مُسْرِعًا بِرِبْحٍ عَظِيمٍ .

يُسْرِعُ الْحَجَّاجُ بِنَاقَتِهِ ، قَاصِدًا صَوْبَ الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ حَيْثُ
يَنْزِلُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

مَرَّتْ بَعْضُ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ سَافَرَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ قَصَدَ
الْعَبَّاسُ إِلَى (أُمِّ شَيْبَةَ) وَقَالَ لَهَا :

- يَا أُمَّ شَيْبَةَ ، أَبْنَ الْحَجَّاجِ ؟

فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّ شَيْبَةَ :

- سَافَرَ لِيَشْتَرِيَ لَنَا مَا أَخَذَ الْيَهُودُ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

فِيَضْحَكُ الْعَبَّاسُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَيَقُولُ :

- أَيُّهَا الْمَخْدُوعَةُ ، ضَاعَ مِنْكَ الزَّوْجُ وَالْمَالُ إِنَّكَ غَارِقَةٌ فِي

أَحْلَامٍ !!

فَتُدْهَشُ (أُمُّ شَيْبَةَ) وَتَقُولُ لِلْعَبَّاسِ :

- ماذا تقول يا عباس ؟

فيقول لها « رضى الله عنه » :

- إن زوجك قد أسلم ، وسافر ليلحق بمحمد وأصحابه .

وقد خدعكم يا أهل مكة ليسترد أمواله .

فقالت أم شيبه في حزن :

- يا ابن العم ما أراك إلا صادقاً ، ولكن من أخبرك بهذا ؟

فقال العباس :

- الحجاج هو الذى أخبرنى يا أم شيبه .

فانطلقت أم شيبه إلى أهلها حزينه باكية مؤلولة ، فقد ضاع

منها زوجها ، وضاع منها مالها .

أمّا العباس ، فقال للمسلمين ما يعرف ، فسرهم بعد حزن ،

وفرحتهم بعد ما نالهم من الغم والحسرة ، وانتشرت فيهم بوادر

النصر ، فكانت لهم أملاً ونوراً .

وسار العباس إلى الكعبة ، فوجد الكفار يتقولون ، ويكذبون

ومنهم من يسجد للصنم ، ومن يتقرب إلى الحجر .

فقال لهم العباس :

- هَلْ أَتَاكُمْ الْخَبْرُ فِي مَوْقِعَةِ خَيْبَرَ؟

قَالُوا :

- أَتَانَا الْخَبْرُ الصَّادِقُ ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُزِمُوا ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا

أَسِيرٌ عِنْدَ الْيَهُودِ ، وَسَيَأْتُونَنَا بِهِ عَمَّا قَرِيبٍ - هُنَا فِي مَكَّةَ .

قَالَ الْعَبَّاسُ :

- إِنَّكُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَكَذِبٍ .

قَالَ الْكَفَّارُ :

- كَيْفَ ذَلِكَ يَا عَبَّاسُ؟

قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ انْتَصَرَ عَلَى يَهُودِ خَيْبَرَ ، وَقَتَلَ

كِبَارَهُمْ ، وَفُتِكَ الْمُسْلِمُونَ أَرْضَهُمْ ، وَأَسْرَوْا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ ،

وَالنِّسَاءِ ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَفِيَّةَ بِنْتُ حِشٍّ ابْنِ أَخْطَبٍ

رَعِيْمَهُمْ .

فَقَالَ الْكَفَّارُ :

- إِنَّكَ لَكَاذِبٌ يَا عَبَّاسُ! ؟ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟

فَقَالَ الْعَبَّاسُ :

أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ السُّلَمِيُّ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ ، وَاشْتَرَكَ مَعَ

مُحَمَّدٍ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرٍ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ
اسْتَأْذَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِيَسْتَرِدَّ أَمْوَالَهُ مِنْكُمْ .

دُهَشَ الْقَوْمُ لِذَلِكَ الْخَبَرِ الْمَوْلَمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِمْ
نَزُولَ الدَّاهِيَةِ ، فَقَلَبَ فَرَحَهُمْ بِنَصْرِ الْيَهُودِ عَلَى مُحَمَّدٍ حُزْنَ ،
أَصَابَ مِنْهُمْ الصَّمِيمَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُحَدِّثُ بَعْضًا بِمَا صَنَعَ
الْحِجَّاجُ ، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى أَمْثَرَاتِهِ « أُمِّ شَيْبَةَ » فَوَجَدُوهَا فِي حُزْنٍ
وَعَوِيلٍ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي الْمَالِ ، وَمَا خَدَعَهَا بِهِ زَوْجُهَا الْحِجَّاجُ
وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، وَأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا .



وَقَدِمَ الْحِجَّاجُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَاشَ بِهَا ، فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَنَى بِهَا دَارًا ، وَمَسْجِدًا ، يُعَرَفُ بِهِ
وَحَضَرَ بَقِيَّةَ الْغَزَوَاتِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي رِكَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ .

